

فلسطين

حمود حروبش

الخروج الثاني من سيناء

اذهب الى الحرب .. تصل الى الولادة .
والآن نولد ، نتجدد ، ونبلغ عمر الجدارة .
الآن نذهب الى الموت الذي نختاره لنتغلب على الحياة المروثة .
نقف اليوم لالغاء الهدنة التي عقدناها مع ربح الصدفة .
ننتهي الى العالم حين نخالفه . ننتهي الى حياتنا حين نهدها .
ننتهي الى الوطن حين نستبدل صلواتنا بالقذائف ..
ننفجر ، ونفجر .. هكذا تكون الاعياد .
ونحن الآن في اليوم السابع ، اليوم « فرغ الرب من عمله الذي
عمل وبارك الله اليوم السابع واستراح » .
بارك الله اليوم السابع . ودعنا يبارك هذا اليوم السابع .
فلان نرقص الموت ، ونمد يدنا حبلًا الى الوطن ، والله يتنازل عن
اسمه القديم اليسوم ، ويأخذ اسما جديدا هو الوطن . الله هو
الوطن ..
نحن الآن في اليوم السابع ، لا نرتاح من العمل ، ولكننا نرتاح
من الهزيمة . اليوم عطلة الهزيمة .
نحن اليوم نقشر خرافة العدو ، ونميد تكوينها كما يريد دعنا .
في البدء ، بدئنا لم يكن القول ولا الفعل - في البدء كانت
الهزيمة .
وفي اليوم الاول من هذا التاريخ الذي يكتبه دعنا ، في سفر
تكويننا الجديد ، كان عيد الفجر عند اعدائنا الذين لم يكفروا عن
خطاياهم ، فقمنا بدلا منهم بالتكفير عن خطايانا بحق الوطن الذي
لم يتحرر ، وبحق الطفل الذي لم يولد ، وبحق المستقبل الذي
لم يصل . انه يوم غفرانا ويوم جنونهم .
واليوم ، تبدأ الخرافة مرة اخرى في اسبوع واحد نازلها عن
مواقمها . الخرافة تستسلم . ففي هذا اليوم ، اليوم اليوم ،
يحتفل الاعداء بعيد ثان في اسبوع واحد هو عيد الظلة : وهو يوم
خروجهم من سيناء الاولى .
اليوم خرجوا من سيناء في الاسطورة .
واليوم يبدأ خروجهم من سيناء بقوة الجندي المصري .

التاريخ لا يعود الى الوراء ، ولا يكرر نفسه .
ولكن الذين يربطون مستقبلهم بالخرافة ، ويقلدون الخرافة ،
وينتمون الى الخرافة ، ويراهنون بالخرافة - يعيدهم التاريخ الى
الوراء ، الى الوراء ، ويجد نفسه مضطرا لتكرار نفسه .
حتى الخرافة تنقلب عليهم .
ونحن نذهب الى الحرب فنصل الى الولادة .

المحرد

١٢ تشرين الاول

نحن نقاتل .. وهم يقامرون

ان تطول الحرب ... ان تطول - معناه اننا قادرون على هزيمة
العدو ، بعدما هزمنا الهزيمة في نفوسنا منذ اللحظة التي احكمتنا
فيها الى النار .
النار .. النار هي القرار الوحيد ، الوحيد الذي يؤدي تنفيذه
الى استرجاع شرفنا الانساني من مهانة ربع القرن .
النار .. النار هي المحكمة الوحيدة ، الوحيدة الجديرة بسان
تشرع العدالة بيننا وبين مثل هذا الطراز من الاعداء .
والنار ، هي التجربة الضرورية لاختبار معدن هذا الانسسان
العربي ، الذي لم يمارس اختباره منذ مدة طويلة ، فكاد يتوحد
في الشك .
وان تطول الحرب .. ان تطول - معناه ان تكتمل عملية التحقق
من أصالة هذا المعدن ، وان تنضج عملية صهر الانسان العربي في
قيم مختلفة وفتاعات جديدة .
نحن لا نخوض معركة من اجل انتصار سريع وريخي ، فمثل
هذا الانتصار - اذا كان ممكنا - سيكون مسالسا لممارسة الجماهير
وليس معجونا ببخار دمها وتحرر ارادتها .
وان تطول الحرب .. ان تطول - معناه ان تتلاحم عمليتنا
تاريخيتان : انتصاف ارادة الجماهير العربية في خوض تجربتها الذاتية
من ناحية ، واستنزاف العدو وتقليم اظافره من ناحية اخرى .
وان تطول الحرب .. ان تطول - معناه اننا نكسب حليفا قويا

ولم يعد يهمهم ، أبدا ، تحقيق ما وعدوا به أنفسهم من تشكيل ذات قومية جديدة ذات تقاليد ثقافية مختلفة ، تشكل تفردا في هذا الشرق المتخلف !! بدلا من ذلك ، كرسوا كل جهودهم « ذات الطابع الغربي » لبناء حضارة العنف والارهاب ، ولاعطاء التاريخ برهانا عصريا على بطلان مفعوله . فكثيرا ما قالوا ، علانية ، ان هزيمة الصليبيين في المنطقة لا ترجع الى حتمية تاريخية تفاعلت معها ارادة شعوب المنطقة ، فان الاسرائيليين اذ يتعلمون من دروس هذه التجربة ، مطمئنون الى ان هزيمة زملائهم السابقين يمكن تلافيها بالتمسك بالاسباب التي عمقت اغتراب الصليبيين عن المنطقة وسببت هزيمتهم . ان الداء نفسه يمكن ان يصير دواء في صيدلية الفلسفة الصهيونية !

لقد ارتاح الاسرائيليون ، الذين قد يستزون باعادة روح اسباطة الى الحياة ، الى الثقة المطلقة بنصرهم في الخامس من حزيران ، دون ان تعينهم معرفة ان هذا النصر السريع لم يحل مشكلة واحدة من مشاكلهم الاكثر حيوية وهو قبول شعوب المنطقة لهم ، ولكنها رسخت هذه المشاكل وكرستها ، ودفعت العرب الى التفكير بتوظيف المزيد من طاقاتهم في قضية العداة لاسرائيل . وان حصول اسرائيل على المزيد من الاراضي التي تحتاج الى المزيد من جهد حراستها والمحافظة عليها قد ألقى « الطموح اليهودي البريء » الى التنمية وخلق طراز حياة اوروبي في آسيا ، لان المزيد من النصر يعني المزيد من استنزاف الطاقة الاقتصادية للمحافظة على هذا النصر .

ولقد اطمأن الاسرائيليون ، الذين سحرهم العثور على قبور شخصيات التوراة ، الى اليقين المطلق بان نتائج هزيمة العرب ستكون ابدية ، وان مقدرة العرب على مجرد التفكير بمحاربة من استولوا على اوطانهم ستكون نوعا من الانتحار الذي لا يقوى عليه العرب . وحين سئل رئيس اركان الجيش الاسرائيلي دايفيد اليعازر - الذي يدلونه باسم داود - قبل شهرين : هل يستطيع اربعة ملايين يهودي المحافظة ، الى الابد ، على توازن القوى ضد مائة مليون عربي ، وفي ظروف متغيرة ؟ اجاب داود بفرور : ممكن لعدد كبير جدا من السنوات . بعد شهرين فقط وجد القائد الاسرائيلي نفسه في مواجهة لا يعرف نهايتها .

وصدق دايان ان طلعتسه الشهيرة ، في المجلات والصحف القريبة ، مجرد طلعته المحصنة ضد سوء الطالع ، كفيلة بتفتيت طاقات العرب ومواردهم ومكانتهم التاريخية وقدراتهم البشرية . ودعا ، قبل شهرين فقط ، فوجا جديدا من ضباطه الى تحويل خطوط وقف اطلاق النار الى حدود دائمة لاسرائيل . وأكد ان الاسرائيليين يستطيعون ، بقوتهم الذاتية ، الاستمرار على هذا الوضع لسنوات طويلة طويلة . وبمسد شهرين فقط يجد دايان ان مجزة الردع الاسرائيلي معرضة للفتك .

لقد فقدوا حاسة الخوف التي كانت تشكل جوهر وجودهم ، واستبدلوها بحاسة الحظ الذي لا يخالفهم . فوجدوا أنفسهم ، هذه الايام ، يسدون حساب الصلافة والاستهتار بالآخرين والتطاول على التاريخ .

وعاد السؤال المحرم الى الوجود : هل تستطيع دولة ان تنام على الحراب ؟ هل تستطيع مثل هذه الدولة التي تجمع طوائف وجماعات لا توحدما الا الحرب مع العرب .. هل تستطيع البقاء ؟ كانت الحرب - وما زالت - هي المضمون الوحيد ، الوحيد لسعي المجتمع الاسرائيلي الى التبلور . وكان الانتصار الابدي المضمون في هذه الحرب يشكل محور التجمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين . فماذا يحدث .. ماذا يحدث حين يقع خلل في هذه المعادلة - القاعدة ؟

استطاع العدو - فيما مضى - ان يجنده في قواته المقاتلة . هذا الحليف الخطير هو الزمن ، الذي يدفعه طول الحرب وصمودنا من منطقة الحياة الى الانخراط في صفوف جنودنا وشعوبنا . وفي هذه العملية - وهي بمثابة نقطة تحول هائلة - يأخذ انحياء الزمن السي جانبنا كل الطاقات العربية المتفرجة والسلبية ، يأخذها من مقاعد المتفرجين الى منطقة البركان المشتعل ، فيثبت طول الحرب .. يثبت من جديد وحدة هذه الامة المترامية من طنجة الى عدن ، ويثبت اصالة التحام لفتها وتراثها وترابها واحلامها .

وان تطول الحرب .. ان تطول في المسكان والزمان - معناه ان نعتاد مرافقة مجرى التاريخ ، وان نعرف ان لا شعب ... لا شعب عبر التاريخ قادر على الانتصار بلا تضحية وبلا ثمن ، وان المصارف لا يديرها افراد جيوشنا الشجعان وحدهم .. فلنستعد لاستقبال الحرب في بيوتنا ، وفي أسرة أطفالنا ، وفي مصانعنا . فهذه هي الحرب .

وان تطول - معناه ان يأخذ الفارق التاريخي الواسع .. الواسع جدا بين طاقانا وبين طاقات العدو مداه الكامل . نحن قادرون على امتصاص الخسائر وتعويضها . نحن قادرون على التكاثر . وهم عاجزون عن ذلك اذا طالت الحرب . لقد بدأوا الآن يدركون ان انتصاراتهم كانت طارئة في المقياس التاريخي ، وان قناعاتهم العنيدة ضرب من ضروب الجنون والاقتراب من الانتحار .

وان تطول الحرب ، اخيرا - معناه اننا سندرك اننا نقاتل .. نقاتل .

وسيدرك الاعداء انهم يقامرون بكل شيء حتى بالمستقبل . وهذا هو الفارق بيننا : نحن نقاتل ، وهم يقامرون .

المحرر

١٣ تشرين الاول

هزيمة العدو في ذروة انتصاره

يمكن الظن .. ويمكن القول ان بذور هزيمة العدو قد نمت في ذروة انتصاره ، في معارك الخامس من حزيران . وهناك رأي عسكري مجرب يقول ان ثمة نوعا من الانتصارات ينتهي بالنصر الى القبر . كان انتصار اسرائيل عينا ثقيل لا تقوى اكتافها المحدودة على حمله . ولا يستطيع التطور الطبيعي لشعوب المنطقة على ابتلاعه . وكان بعض المفكرين والمؤرخين ينهم باللاسامية حيناً وبالشاعرية حيناً ، عندما كان يحذر الاسرائيليين - السذيين لم ينتصروا ولكنهم وجدوا أنفسهم يحطون بنصر بلا جدارة - من مفعول النشوة التي تظلل عمل العقل ، وتدفع المصابين بها الى الثقة المطلقة بقدرة ذاتية طارئة بوسعها ان تبطل مفعول قوانين التطور . وهذا ما اصابهم :

لقد تغفل في الوعي الاسرائيلي ايمان غير قابل للمناقشة بان الاقدار تدلهم بامتنان . وتجسدت هذه الاقدار ، في نهاية المطاف ، بان طائرة « الفانتوم » مثلا - حين تحمل نجمة داود - تشكل ضمنا اديبا لانهم المستحيل . لقد صار الارتكاز على اجنحة هذه الاسطورة المصرية من جهة ، وعلى حائط المبكى الذي يمثل حيوية الاسطورة القديمة من جهة اخرى ، صار بديلا للاحتكام الى وسائل اخرى اكثر منطقية للبحث عن مستقبل اقل تطاولا على تاريخ المنطقة واقل استغزا لشعوبها .

استبدلوا الواقع بالخرافة .. واستبدلوا التاريخ بالسحر ..

هل تفقد اسرائيل ضرورة بقائها ، وهل يفقد التجمع الاسرائيلي مبرر وجوده ؟

لم يكن الفرور الاسرائيلي يتحاشى هذا السؤال وحسب . ولكن كان باحتكامه الى العنف المسلح والى الخرافة الدينية المسلحة يجمع محاولة التفكير لدى الاسرائيلي . ولعل التوقف عن التفكير بالمستقبل واعادة النظر فسي مخالفة القدر وانحلال الحس التاريخي فيهم بعد انتصارهم في حرب حزيران هو ما نعيه حين نقول ان بذور هزيمتهم قد نمت في ذروة انتصارهم ، الذي ادى بهم الى احتقار الفكر والمفكرين والاستهتار بالتاريخ والمؤرخين . سخروا كثيرا من مؤرخهم البروفسور تلمون الذي خاف انتصار ١٩٦٧ « لان القسوة لا تخلق الحق » . وسخروا من توينبي الذي قال ببطلان قيام اسرائيل - في المنظر التاريخي - لانها قامت على الظلم ، ولانها عاجزة عن تقديم حل للمسألة اليهودية ، وانما تلحق الظلم باليهود انفسهم ليس داخل اسرائيل فحسب ، بل خارجها ايضا ، اذ جعلهم مزدوجي الانتماء . وسخروا من اسحق دويتشر الذي قال ان « نصر اسرائيل العسكري سيتكشف في مستقبل قريب عن انه كان في الواقع كارثة ، وبالدرجة الاولى لدولة اسرائيل نفسها . لقد شاهد دويتشر - وهو من اصل يهودي - « المشاهد التي تعرضها شاشة التلفزيون .. شاهد الفاتحين وهم يعرضون صور غطرتهم وتعجرفهم ووحشيتهم ومظاهر شوفينيتهم والاحتفالات الجنونية التي احيوها اعلانا عن نصر بلا مجد ، كان ذلك كله يتناقض تناقضا وحشيا مع الصور التي كانت تظهر آلام العرب واحزانهم وصفوف اللاجئين وصور الجنود المصريين الذين ماتوا عطشا في الصحراء . وتالت كذلك ان ادى الحاخاميين بقاماتهم المائدة للقرون الوسطى يرقصون فرحا امام حائط المبكى . وكان يخيل الي اني ارى البلاد وقد اكتسحتها نزعسة الظلامين التلمودية . ها هم اليهود اليوم يمثلون في الشرق الاوسط دور عملاء المصالح الامبريالية ، انهم بذلك يخلقون حقد جيرانهم وكراهيتهم ، هؤلاء الجيران الذين هم ضحايا الامبريالية . وهذا بلا شك اسوأ مصير يواجهونه . اما العرب ، فسيعرفون كيف يستخرجون الدرس من هزيمتهم ... » .

ها هم العرب يعرفون .

وها هم الاسرائيليون يحققون شيئا واحدا : لقد حولوا الخوف المصطنع من العرب الى خوف حقيقي . وهم حين يسعون الى نصر جديد ، فانهم يسعون في آخر الامر الى هزيمة جديدة ، لان بذور هزيمتهم قد نمت في ذروة انتصارهم .

المحرر

١٤ تشرين الاول

العرب قادمون

□ انتظرنا ايها العالم . انتظرنا قليلا . فاننا قادمون اليك . مشغولون ، الآن ، ببناء الايدي التي تصل اليك .

منكبون ، الآن ، على تربية الاقدام التي تحملنا اليك . غارقون ، الآن ، في عملية تركيب الجسور التي يعبر عليها صوتنا اليك .

□ انتظرنا ايها العالم . انتظرنا قليلا . فنحن الآن نتسلم المشي على الارض . مرة اخرى ، نتعلم المشي . فلا تلعب كثيرا بالكرة الارضية التي تهتز . لا تلعب كثيرا . فعما قليل يصير بوسعنا ان نعيدها الى التوازن - اذا شئت . وعما قليل يصير بوسعنا ان ندهنها

الى الانفجار اذا شئت .

نحن الآن نتعلم فن المشي .

□ انتظرنا ايها العالم !..

ها هو وجهنا يخرج من قاع النيل كحمامة كانت تفرق .

وها هي يدنا تخرج من فرن الصحراء كتخية كانت تحترق .

وها هي روحنا تعود من السبي ، ترتدي جسدا من قمع

وشمس .. وتعود .

- متى تذكرتم ، متى ؟ يسألنا العالم .

- حين نسينا تماما - نقول للعالم .

ونواصل المجيء .

- ألا تعتقدون ؟ يسألنا العالم .

- لن تعطينا المغفرة . ان موتنا ، وحده ، هو الذي ياخذ

شكل المغفرة . ونحن نعتذر .. نعتذر لاننا تأخرنا في الرحم ، ولكن

الولادة عسيرة في هذه الايام ، والجنود الفزاة يحاصرون مخسل

الرحم . وانت الشاهد المحايد ايها العالم .

- القابلة تأتي مع الجنين ، من الداخل تأتي القابلة .. من

الداخل . وها أنتم تعرفون .

□ انتظرنا ايها العالم ! انتظرنا قليلا ، فان الولادة العسيرة ،

تملا المدن ، ونحن قادمون اليك .

تأخرنا .. تأخرنا لاننا كنا نبحت عن طريق آخر ، ولم تجربنا

ان دهاليز الدم الخصبة هي الدرب الوحيد الذي يقضي اليك .

لم تأخرنا ان باب الرحم هو فوهة البركان .

.. في طريق آخر ، سقطت ابدنا في النيل .

وفي طريق آخر ، وقفت وجوهنا في ليل اغلقت عليه الباب .

وفي طريق آخر ، ضاعت دمشق المكان عن دمشق الزمان .

وشاع العقم .

□ ايها العالم ! لا تصدق انها حرب .

- ما هي اذن ؟ يسأل العالم .

- انها اعلان الحضور . وانها طريق الوصول اليك . فللحرية

صوت يشبه صوت الحرب ، لكنها تختلف تختلف . واذا كنت حرا

ايها العالم ، او اذا كنت تحب الحرية ، ستدرك انها ليست الحرب،

ولكنها ضجة الحرية .

انتظرنا ايها العالم ، انتظرنا قليلا ، فاننا نتعلم المشي على

الكرة الارضية ، ونعيدها الى التوازن .

حلق في وجوهنا ..

هذا الدم : فرح .

وهذا الدخان : حمام .

ومن فوهة هذه البندقية : ينهمر السلام على الارض الحزينة .

المحرر

١٥ تشرين الاول

مسادة تسقط

انهم يحملون الوفاة منذ جاؤوا الى هذه الولادة . لقد توحدوا بالخرافة ، واقنعوا انفسهم بانهم يعيدون التاريخ الى سن الطيش .

مسادة .. مسادة .. تسري في شرايينهم وتسكروهم وهمسا وغطرسة « مسادة لن تسقط مرة اخرى . مسادة لن تسقط » ولم يتعلموا من الابداء الا التدرج على اباداة الآخرين . لانها الوسيطة الوحيدة لتشكيل ذاتهم الجديدة .

قابلة للكسر . ومهما تكن النتائج ، مهما تكن .. فقد وقع الخلاف بين الاسرائيلي وبين قناعاته . واهتزت مساندة من اركانها . ماذا يعني ذلك ؟

يعني ، بالنسبة اليهم ، ان التناهي بحالة الحصار هو مباحة بالجنون . ويعني ان اسئلة كثيرة .. كثيرة جدا ستضمن شرعية الطرح : هل كانت التجربة صوابا ام خطأ ؟ وهل كان المؤرخون يكذبون حين قالوا ان فلسطين ليست وطن كل اليهود ، وان اقامة اسرائيل ليست حلا للمشكلة اليهودية ؟ سيكون بوسعنا ان نتساءل بعد مدة : اليس اصرار الصهيونية على انشاء دولة يهودية في فلسطين رداً على الكارثة التي حلت بهم - كما يقولون - هو مواجهة كارثة بكارثة أفدح ؟

هذا هو السؤال الذي كان ينبغي عليهم ان يطرحوه في يوم غفرائهم الذي صار يوم غفرائنا . كان ينبغي عليهم ان يتركوا خلفهم جسرا للعودة ، ان يتعلموا شيئا من تاريخهم ومن تاريخ غيرهم . فوقعوا ضحية انفسهم ، ضحية غرورهم واستهتارهم بهذه الشعوب العربية التي اذلوها حتى القتل . لم يعرفوا انهم - في آخر الامر - غرباء عن المنطقة . غرباء بلا جذور . لم يحاولوا ان يقيموا جسرا حقيقيا واحدا لهم . استبدلوا الجذور بالنابالم ، والنابالم لا يستطيع كسب حق في بنة صغيرة . ليسوا اكثر من سفينة في بحر . كيف تستطيع سفينة طائشة ان تستفز البحر الى هذا الحد ؟ لقد خدعهم هدوء البحر العربي الذي تحرك الآن لمعاوية السفينة الطائشة .

مهما تكن النتائج - مهما تكن ، فان شيئا واحدا تاريخيا قد حدث ، هو ان البحر الهادئ قد نطق حركة وفعلا وغبضا ، وان السفينة الطائشة قد ادركت انها تطفو على سطح ماء متحرك ، وانها هي التي اختارت ان تقطع الصلة باليابسة .

يقول البعض - من فرط غياب الثقة بالنفس - انها مسرحية ، وانها حرب تسوية لا حرب تحرير ، وانها مقدمة للمفاوضات مع العدو . ومهما تكن الاقوال ومهما تكن النوايا - مهما تكن ، فان بطولات الجنود العرب واستردادهم تقهتهم بالنفس ، وبرهنتهم على عمق الوطنية تمزق النص - الافتراء هواء هواء على مرتفعات الجولان وعلى رمال سيناء .

لم نفاوضهم ولم نقبلهم يوم كنا ضعفاء ، فكيف نفعسل ذلك ونحن اقوياء !

ان مرحلة باكملها تسقط الآن ، على الجانب العربي وعلى الجانب الاسرائيلي . صارت نوافذنا اوسع وتطل على عالم جديد . فمئذ اطلت فوهة المدفع العربي على العدو ، كانت في الوقت ذاته تفتح نفرة واسعة .. واسعة جدا في الافق العربي المسدود ، وكانت اطلالة على عالم جديد .. عالم لنا .

الدستور

١٥ تشرين الاول

وطن آخر

أبعد من سيناء ، وأبعد من الجولان ، وأبعد من فلسطين - هذا الذي يحدث .
ضع نقطة ، وابدأ سطرًا جديدا . بوسعك الآن ان تستعمل مفكرة :

وفي عيد الغفران ، لم يحاولوا التكفير عن ذنوبهم كما اوصاهم الرب ، الذي لم يأخذوا من وصاياه الكثيرة الا ما قاله على اسوار اريحا . في عيد الغفران كانوا ، بدلا من ذلك ، يحتفلون بسقوط اعدائهم .

ولكننا نحن .. نحن الذين اندفعنا ، في يوم غفرائهم ، للتكفير عن ذنوبنا التي ارتكبناها في ثلاث حروب رخيصة ، فصار يوم غفرائنا العظيم عن آثام ارتكبناها بحق تراب كدنا نشك باننا جديرون به ، وبحق اطفال كدنا نشك باننا اباؤهم .

كان الحزن يتصبب من مسام جلودنا .

وكان الفرح يتصبب من احدى جنودهم .

وفي يوم الغفران كفتنا عن هذه الخطيئة .

لم يتعلموا شيئا . وكانوا يتقنون لفات كثيرة انساهم النصر الرخيص اياها ، وما عادوا يفهمون الا هذه اللغة التي نخاطبهم بها اليوم . نشكرهم ام نريهم ؟ ومهما تكن النتائج .. مهما تكن ، لن تكون الا اننا اتقنا الآن لغة الجدارة بالحياة والوطن والعالم ، وحرمانهم منها .

لقد انتصرنا ، انتصرنا في اللحظة الاولى التي اطلقنا فيها النار عليهم وعلينا في آن واحد . لقد قتلنا اوهاطنا القديمة ولغاتنا البائدة . لقد انتصرنا على الغزو الداخلي المتغلغل فينا قبل تغلغل الاعداء في اراضيها . لقد حررنا ذاتنا من الاحتلال المعنوي والنفسى ، وحررنا شرفنا من التسكع على اوصاف الحياة ، وحررنا جلودنا من الفزاة الذين كانوا يرقصون تحت جلودنا .

هذا هو النصر الاول والاكبر - تحرير الذات والارادة ، ثم يكون تحرير الارض سهلا كهذا الموت الشائع في هذه الساعات التي نعيد فيها التاريخ الشرقي الى سن الرشد .

« مساندة لن تسقط . لن تسقط ثانية . لم يتعلموا شيئا مرة اخرى . لم يتعلموا شيئا يحميهم من خطيئتهم ومن غضبنا . لم يتعلموا الا التشبث باسباب اغترابهم عنا وعن العالم . ومساندة ليست ، بالنسبة لهم ، قصة تاريخية تتحدث عن حصن قديم دافع عنه مقاتلوهم القدما حتى الموت . لقد حولوها ، منذ جاءوا الى فلسطين ، الى حالة نفسية والى عقدة . عقدة يحملونها وينتخرون .

يعاربون وينتخرون .

ينتصرون وينتخرون .

يتوسعون وينتخرون .

ان مساندة التي آمنوا بانها قوتهم لم تكن ، في واقع الامر ، الا مصرعهم . فان اختيار حالة الحصار حلا لحالة الاغتراب عن المنطقة لا يكون في آخر الامر الا ضربا من ضروب الانتحار . وعلى هذا الاساس ، فان كل انتصار اسرائيلي هو انتحار اسرائيلي في الوقت ذاته ، وعقدة مساندة هي الانتحار التاريخي البطيء ، حتى لو أوهمتهم حروب رخيصة ، لم يقاقل فيها العرب ، بأن التاريخ قابل للتعديل الخاطيء .

لقد دكت الخرافة . الخرافة دكت من اركانها في اعماق النفسية الاسرائيلية . والتجربة التاريخية على الطريقة الاسرائيلية اثبتت فداحة اخطائها . واذا كان هذا ما حدث للنفس والخرافة ، فما قيمة الحجارة القديمة التي حولوها الى حالة نفسية والسى عقدة ؟ لم تسقط مساندة ؟ صحيح ، ولكن الرمز والمعنى والاسطورة تهاوى . انكسر اليقين المطلق . وقع الشرخ بين الواقع والخرافة . تغلغل الشك بالقيم التي كانت مناقشتها محرمة . اقتنع الجسد الاسرائيلي بأنه قابل للجرح . التقى الموت بالضريبة فصارت مساندة

هؤلاء الجنود لا يخوضون حربا . ولكنهم يشعلون ثورة .
وهم لا يحردون وطننا مرة واحدة . ولكنهم يحردونه مرتين .
وهم لا يكتفون بطرد الفريب عنه ، ولكنهم يطردون عنه الاغتراب .

هذا الاغتراب كان حصن طروادة . لقد اغتربنا عن الوطن كثيرا ،
واغترب عنا الوطن كثيرا . وصلنا ذات يوم الى نقطة خطيرة : كانه
ليس لنا ، وكاننا لسنا له ، وكاد يتحول الى ميراث بلا مستقبل .
من الآن .. من هذا الزلزال يجب ان نعرف انه لنا حقسا
وحقيقة . وليس لاحد فضل على آخر الا بهذا الدم الذي يجرف جدار
الاغتراب مع حصون الغزاة .

– لا تتورط في الفرح كثيرا ! هكذا يقول اصحاب العواطف
الموضوعية الذين قد يخشون على صحة افكارهم اكثر من خشيتهم
على وطن .
ولكن فقراء الوطن يموتون الآن من اجل تكوين هذا الفرح الذي
فد لا يكون كله لهم . الفقراء يموتون بيهجة . وماذا كان الوطن
يعطيهم غير الحق في الموت ايام الحرب ؟ الفقراء يموتون بدلا منا
ومن اجلنا .

– العبيد يصنعون قيودهم !
والعبيد يكسرون قيودهم الآن ، ويصنعون المساواة غدا . لقد
تدربوا على فن الحرية ، وسيكون الوطن لهم ، لانهم حرروه مرتين ،
وبنوه مرتين .
ضع نقطة ، وابدا سطرًا جديدا . بوسعك الآن ان تستعمل
مفكرة :

« اما ان نتكلم نتيجة الخوف . واما ان نتفقت من الضعف » .
هكذا يقول الاسرائيليون . وها هو التكتل الذي لا مضمون له
الا الحرب – الخوف من العرب فد تنازل الآن اظاهر الضعف التي
تظهر في القلعة الاسرائيلية . هل هي بداية التفقت ؟ من السابق
لاوانه ان نجيب على هذا السؤال بيقين سهل . ولكن بوسعنا ان
نلاحظ بوضوح ان سقوط التوسع سيؤدي الى سقوط الهجرة .
وان الحرب التي كانت مرادفة للحق وتكريس الحق – في نظر
الاسرائيلي – لم تعد مضمونة انصر ، فوجد « الحق » الصهيونسي
نفسه في العراء ، وصارت الهجرة اى « ارض الميعاد » سفرا الى
الجحيم .

لقد بدأت حرب الحقائق والمفاتيح .
فهل تتيقظ الآن حاسة السخرية لدى الاسرائيلي ؟ هل يقول الآن
ما كان يقوله عشية الخامس من حزيران (نتيجة الازمة الاقتصادية
والتوتر الامني) هل يقول انه يجب ان نصب لافتة في مطار اللد ..
تحمل الرجاء التالي :
« على المسافر الاخير ألا ينسى اطفاء النور في المطار » .
هل يقول ؟

المحرر
١٧ تشرين الاول

– العبيد يصنعون قيودهم !
والعبيد يكسرون قيودهم الآن ، ويصنعون المساواة غدا . لقد
تدربوا على فن الحرية ، وسيكون الوطن لهم ، لانهم حرروه مرتين ،
وبنوه مرتين .
ضع نقطة ، وابدا سطرًا جديدا . بوسعك الآن ان تستعمل
مفكرة :

« اما ان نتكلم نتيجة الخوف . واما ان نتفقت من الضعف » .
هكذا يقول الاسرائيليون . وها هو التكتل الذي لا مضمون له
الا الحرب – الخوف من العرب فد تنازل الآن اظاهر الضعف التي
تظهر في القلعة الاسرائيلية . هل هي بداية التفقت ؟ من السابق
لاوانه ان نجيب على هذا السؤال بيقين سهل . ولكن بوسعنا ان
نلاحظ بوضوح ان سقوط التوسع سيؤدي الى سقوط الهجرة .
وان الحرب التي كانت مرادفة للحق وتكريس الحق – في نظر
الاسرائيلي – لم تعد مضمونة انصر ، فوجد « الحق » الصهيونسي
نفسه في العراء ، وصارت الهجرة اى « ارض الميعاد » سفرا الى
الجحيم .

لقد بدأت حرب الحقائق والمفاتيح .
فهل تتيقظ الآن حاسة السخرية لدى الاسرائيلي ؟ هل يقول الآن
ما كان يقوله عشية الخامس من حزيران (نتيجة الازمة الاقتصادية
والتوتر الامني) هل يقول انه يجب ان نصب لافتة في مطار اللد ..
تحمل الرجاء التالي :
« على المسافر الاخير ألا ينسى اطفاء النور في المطار » .
هل يقول ؟

« اما ان نتكلم نتيجة الخوف . واما ان نتفقت من الضعف » .
هكذا يقول الاسرائيليون . وها هو التكتل الذي لا مضمون له
الا الحرب – الخوف من العرب فد تنازل الآن اظاهر الضعف التي
تظهر في القلعة الاسرائيلية . هل هي بداية التفقت ؟ من السابق
لاوانه ان نجيب على هذا السؤال بيقين سهل . ولكن بوسعنا ان
نلاحظ بوضوح ان سقوط التوسع سيؤدي الى سقوط الهجرة .
وان الحرب التي كانت مرادفة للحق وتكريس الحق – في نظر
الاسرائيلي – لم تعد مضمونة انصر ، فوجد « الحق » الصهيونسي
نفسه في العراء ، وصارت الهجرة اى « ارض الميعاد » سفرا الى
الجحيم .

لقد بدأت حرب الحقائق والمفاتيح .
فهل تتيقظ الآن حاسة السخرية لدى الاسرائيلي ؟ هل يقول الآن
ما كان يقوله عشية الخامس من حزيران (نتيجة الازمة الاقتصادية
والتوتر الامني) هل يقول انه يجب ان نصب لافتة في مطار اللد ..
تحمل الرجاء التالي :
« على المسافر الاخير ألا ينسى اطفاء النور في المطار » .
هل يقول ؟

صباح الخير ايها الفرح !

المحرر
١٦ تشرين الاول

الحقيقة والمفتاح

ليثني سمعت نصيحة زوجتي ، وسافرنا الى السويد » .
هكذا قال طيار اسرائيلي اسير في دمشق .
« أين مفاتيح البيوت ؟ وأين الحقائق ؟ » .

هكذا تسأل ، الآن ، عائلات عربية كثيرة كان الموت الاسرائيلي
فد اجلاها عن منازلها في سيناء وضاف قناة السويس ومرتفعات
الجولان .

ان « حرب حقائق ومفاتيح » تجري الآن ، بصمت ، على طرفي
الصراع . تظهر نتائجها بجلاء على الجانب العربي ، وتكون مقدماتها
بجلاء على الجانب الاسرائيلي .

أزرق .. أزرق ..

- رأيت مياه كثيرة في حياتي ، ولكنني لم ار ماء في مثل
هذه الزرقة الداكنة .
- وشاهدت رمالا كثيرة فسيحة ، ولكنني لم اشاهد رملا
ممتلئا بالوضوح والغموض معا مثل هذه الرمال الشرسة .
- وعشت أماسي كثيرة تحاذي المجهول ، وتكني ما عشت مثل
هذا المساء الذي يتناوب علاقة عجيبة مع المجهول .

الجرائم الاميركية التي ارتكبتها في بلادكم وفي بلاد اخرى من العالم .
وليس بوسع احد في العالم ان يصدق ان مهارة ممثل الاميركالييسة
الاميركية في المفاوضات هي التي ادت الى احلال السلام في جنوب
شرق آسيا . كل الشعوب تدرك ان مهارة اقتحام الموت عند الشعب
الفيتنامي وتصديه الباسل للتحدي الاميركي هو الذي انهى الحرب
بانتصار الشعب الفيتنامي الشجاع وادى الى احلال السلام .
ولعل مثقفي العالم وادباءه والمناضلين من اجل السلام سيفرحون
كثيرا لو بادرتهم الى رد هذه الاهانة ، ورفضتم نصف الجائزة التي
اعطي نصفها الآخر لرسول العذاب في العالم .
المحرر ١٨ تشرين الاول

بطاقة الى دمشق

ساعي البريد ينتظر ،
والفراشة تحارب ،
ولا تنتهي رسالتي اليك يا دمشق .
كان الاغاني أصيبت بحنجرة لا تقني ، منذ انتصبت على اصابع
الشهداء .
الى أين ، الى أين ؟
ليس في المدى مكان ، لان زمانك يرتدي ملابس الميدان ، فيتدلى
المدى خيطا من ثيابك .
الى أين ؟ واسمك المتوتر لا يحمل المزيد ، فقد يصيح الجسد
عادة يومية ، او بوابا في الجامع الاموي ..
دمشق .. يا دمشق !
تدخلين الحرب كما تدخل الفتيات ليالي الزفاف ..
وتخرجين من الحرب كما يخرج الاطفال من البحيرات .
وحين تقفين ، يا دمشق ، تتحول الجداول الى قامات .
وحين تمشين ، يا دمشق ، يتجمد الغروب على حافة الافق .
والى أين يا دمشق ؟
كان الاغاني أصيبت بحنجرة لا تقني ،
والشعراء يتعلمون الابجدية من حجاتك الصغيرة .
كوني اي شيء يا دمشق ، فلن تكوني الا دمشق .
كوني سكيننا وقشرنا ، يتدفق منا بردى الذي يبقى كما كان :
مواطننا عاديا يدفع الضرائب ، ويقصف بالقنابل ، ولا يرسل عن
البيت .

كوني اي شيء يا دمشق ،
فلن تكوني الا دمشق التي لا تنزل عن الاشجار ، ولا تنحني .
الى أين .. الى أين ؟
ليس في المدى مكان ، لان زمانك يرتدي ملابس الميدان ، فيتدلى
المدى خيطا من ثيابك .
دمشق .. يا دمشق !
ساعي البريد ينتظر ،
والفراشة تحارب ،
ولا تنتهي رسالتي اليك يا دمشق ..
المحرر ١٩ تشرين الاول

الريح والشرارة

اصحاب الاناقة الوطنية يسألون :
- أين الفلسطيني في الحرب ؟
ولا يجدون من يرد على اناقة السؤال ، لان المقاوم الفلسطيني
ملتحم بحوار الموت مع العدو ، بعيدا عن ابصارنا ومسامعنا .

□ ورايت جنودا كثيرين في حياتي ، ولكنني ما رايت ، قبل
الآن ، كيف تقف عيون التاريخ على اصابع هؤلاء الجنود .
□ وعرفت الصبر والقهر والفيظ ، ولكنني اقرأ الآن ، لأول
مرة ، صدر البركان المنهيب للانفجار .
□ وتعرفت على انواع كثيرة من الصمت ، ولكنني لم ار
صمما اكثر حكمة وقسوة من هذا الصمت الرابض ، كالعجوبة ، على
فناة السويس .
□ نحن نشتر في كل مكان ، ابتداء من غرفة النوم حتى
الديع ، ونكتشف في انفسنا مواهب مفاجئة فسي فن الحرب
والعذاب والبسالة . ولكن الحقيقة الوحيدة تبقى هناك .. على
ضفاف قناة السويس . وموفنا من هذه الحقيقة الدامية هو ،
وحده ، الذي يمنحنا حق الكلام عن الوطنية والقومية والاشتراكية
وغيرها من القيم التي اوقفنا التطورات المفجعة على مفترق طرق
خطير ، على ضفاف قناة السويس . ذلك لا يعني ، بالطبع ، ان
فيما أصيبت بالشلل او يجب ان تصاب بالشلل الى حين الخروج
من مفترق الطرق هناك ، ولكن يعني ان العلاقة بينهما صارت اعقد
واخطر مما قد يتصور البعض ، وان التأثير المتبادل بينهما يتسرك
اثارا قد تشابه في العمق والمدى : لن نتكمن من التقدم بغيرنا نحو
التنفيذ الجاد ما دمنا عاجزين عن التحرك هناك . ولن نتكمن من التحرك
هناك ما دمنا عاجزين عن التقدم بغيرنا .
□ والحرب هناك لا تكتب بالحبر والزاج . انها لغة الموت
الحقيقية . وهي ليست قصفا اذاعيا يعقبه نشيد الختام السلبي . انها
الصمت الفاعل الذي يعقبه انفجار البارود واللحم البشري .
انها مهارة الموت الذي يرد الى التاريخ نكهته المموجة التي اطلقها
ذات يوم عندما كان مشغولاً بالزواج .
ان زرقة السويس تشطرن شطرن « .

هذه السطور كتبتها قبل عامين ونصف (في مجلة المصور
٢٦ نيسان) عندما زرت مدن قناة السويس ، ووقفت ساعات طويلة
على انقاض مدينة بور توفيق برفقة الجنود المصريين الذين كانوا
ينتظرون اندلاع العاصفة الثارية بصبر اسطوري . اسجلها الآن
واقبل الابدي التي صانحتها فاعطتني مجدا لا استحقه !
المحرر ١٨ تشرين الاول

نداء ورجاء

الى الرفيق لي دوك ثو عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي
الفيتنامي .
وصل الينا ، كسهم من نار ، ذلك القرار البارد حتى الجليد
الذي اتخذته الاكاديمية السويدية بمشاركة هنري كسينجر لكم جائزة
نوبل للسلام .
ان الشعب الفيتنامي العظيم ، بكفاحه الاسطوري ، قد قدم
احدى المساهمات الكبرى في التاريخ لانقاذ الشرف الانساني والكرامة
البشرية ، واعاد الى عصرنا كثيرا من الاحترام الذي تسمى الامبريالية
الاميركية لتجريده منه . وان جميع الشعوب المحبة للسلام والحرية
تشعر بانها مدينة دينا عظيما للشعب الفيتنامي العظيم الذي كساد
ان يكون مسيح العصر وثائره الباسل . ولا يستطيع احد في العالم
ان يثمن نضالكم باية جائزة او مكافاة . ومع ذلك فبوسعنا ان نهنتكم
من صميم القلب لانكم استنظتم ان ترفضوا على الاكاديمية السويدية
المحايدة الاعتراف بالخدمة الجليلة التي قدمتموها للسلام . ولكن ،
ليس بوسعنا ان نتحمل هذه الاهانة الجارحة حتى العظم التي يسدها
قرار الاكاديمية السويدية نحكم ونحو قضية السلام باشراكه رسول
الجريمة الاميركية العالمية فيها . ان هذا الاشراك بمثابة مكافاة لمدوب

أسئلة توحى بأن فلسطين صارت أبعد ؟ لقد كان الفلسطيني المقاوم قبل هذه الحرب ، وبقى بعدها . والحروب العربية ضد العدو وضد ما يمثلها هي حرب فلسطينية . والثورة الفلسطينية ضد العدو وضد ما يمثلها هي ثورة عربية .

ماذا أصابنا ؟ ألم نتفق على ألا نتحدث في المعركة إلا عن المعركة؟ دعوه ، إذن ، المقاوم الفلسطيني يستأنف حوار النار مع العدو مع سائر المقاتلين العرب . دعوه يجدد شباب الأمل والهدف . دعوه يكمل عناق الأرض الفلسطينية والعربية ، فإنه يقاتل من أجلنا جميعا . . أمس واليوم وغدا .

المحرر

٢٠ تشرين الأول

لسنا أبناء العم توم

– هل عندكم نفط ؟

● كلا .

– كيف تمشون إذن ؟

كان صعبا على الرجل النفطى ان يفهم كيف يمكن لشعب ان يعيش من مصادر ثروة اخرى غير النفط .
النفط هو انطونيو ، وانطونيو هو النفط !
لم تكن الحرب الاخيرة قد نشبت .

ولم يكن تل العرب قد اهتموا بأن اميركا ليست مقاطعة صغيرة في اسرائيل ! لم يكونوا قد صدقوا ان بوسع اميركا – اذا ازادت – ان تخنق اسرائيل بمجرد اغلاقها انبوبة المعونات لمدة اسبوع واحد .

ولم يكن كل العرب قد ادركوا ان اميركا ليست حليفة للعدو ، ولكنها العدو ذاته . وكان الحب المجاني قد اعماهم .

ولم يكن العرب قد فهموا ان اميركا تحافظ على اسرائيل لكي تحتفظ الاخرى بدورها كحارس للمصالح الاميركية في القارة العربية ، واهها : النفط العربي ..

ولم يكونوا قد اقتنعوا ، ايضا ، بأن سيل المال والسلاح المتدفق من اميركا الى اسطواها الثابت – اسرائيل لا يشكل نسبة كبيرة من ارباح النفط العربي .

الآن يدرك مزيد من العرب (او العرييين) النظيفين والعريين غير النظيفين (هكذا صرنا نصف) ان وقود الطائرات والمدرمعات الاسرائيلية يأتي من آبارهم . وان الشهداء العرب والاطفال العرب يسقطون بمصادر القوة العربية .. اننا نشهد شكلا من اشكال الانتحار او الطعن في الظهر ، فقوتنا هي التي تهددنا لانها مصدر تموين العدو ، حتى كدنا نقول اننا منتجو ومصدرو طاقة للعدو ..

متى يفضب المزيد من العرب .. في القاعدة .. في الشوارع والمصنع والحقل والمكتب ؟ متى يرغمون حراس الابار – وحفاري القبور – على اخراج اسلحتهم من صدورنا وتوجيهها الى صدور الاعداء ؟

متى يفضب العرب ، ويكفون عن ان يكونوا ضحايا ثروتهم التي تشكل قوتهم اذا شاءوا ومصرعهم اذا شاءوا ؟ ان النفط سلاح ذو حدين ، فمتى نستخدم الحد السياسي ؟ ومتى ندرل ان بشر نفط ، في هذه المرحلة ، قادر على اجراء تعديل في الخارطة السياسية العالمية ؟

– هل عندكم نفط ؟

انه هناك ينفجر ويفجر في اعماق العدو . ويستأنف الثورة التي لم تتوقف يوما ، ومنعت غيرها من التوقف الطويل .

في المعركة ، لا يجوز الحديث إلا عن المعركة . ولهذا ينبغي الحديث عن المقاوم الفلسطيني لانه المعركة الدائمة امس واليوم وغدا . لانه حاضر في كل ومضة نار ، في كل رصاصة ، وفي كل خطوة نحو الصراع . ولانه غائب دائما عن اية سكينه ، وعن اية هدنة ، وعن اية مهادنة مع مصارعة العدو . ثم يكف المقاوم الفلسطيني عن مناقشة الآخرين لخوض المعركة ، ولم يكن خلافه مع احد من العرب الا بسبب اندفاعه ومحاولة دفعه الآخرين الى فتح المعركة المنشودة .

بهذه الحرب المشتعلة الآن ، يحقق الفلسطيني ذاته المتجددة . ينمي حياته التي تعرضت للاغتتيال . يجسد حلمه التوتري . يوسع دائرة الصراع مع العدو الذي لم يبدأ الآن . ومن هنا يكون حضور الفلسطيني الآن ، أشد تألقا وتوهجا وكثافة .

في أيام الهدوء النسبي ، كان الفلسطيني المقاوم هو السذي يشكل خلا في معادلة الامن الاسرائيلي . كان المحرض ، والمقلق ، والنموذج الذي حول الهزيمة الى حافز للرفض والتصدي والتحدي بدلا من ان تصيرحالة. كان رمزا يحمي روح الامة من الخهول وكان واقعا يجعلها تضيف وتعد بالتضحية من اجل هذه المعركة .

كان صغيرا ومحاصرا ؟ صحيح . ولكنه كان معنى كبيرا يفتتح الآفاق . وكان توترا فاعلا في جسد السكينه .

ان المقاوم الفلسطيني يجدد حياته في اندلاع هذه المعركة . يحظى بشروط عمل ثوري افضل . يصير حالة شعبية عامة . يصير قابلا للحصار لجيوش وطنية قادرة على خلق امكانية النصر . فلا يصير قابلا للحصار في أسوأ الحالات ، وقابلا للثناء العاطفي في أحسن الحالات . من هنا يرحب .. يرحب بالمعركة ويخوضها بايمان أشد . ان شرايين العرب تصب في قلبه . وهو يصب في قلوب العرب . ولا يجد نفسه الآن « مخربا » و « مورطا » ومتطاولا على « ظروف غير ملائمة » . فالواحد يلتحم في الكل .

وجهه لا يملأ الصورة ؟ صحيح ، لان ذلك دليل على وحدة الوجه العربي للقضية . الفلسطيني المقاوم عربي . والعربي المقاتل فلسطيني . وجوه المعركة مع العدو – بمعناها الشامل – هو الصورة الوحيدة : أبعد من قطعة أرض . اعرق من جواز سفر . ماذا؟ هل نسينا ؟

ان الفلسطيني المقاوم ، اذ يبدو انه ضاع في الصورة ، فذلك تعبير عن تعريب فلسطين وفلسطينة العروبة . والفلسطيني يسكن قبضة النار ايام الحرب وايام اللاحرب من اجل فلسطين ومن اجل العرب . انه منطلق كالريح الخصبه في كل بقعة ارض محتسلة . منطلق كالريح في القضية .. في النفسية .. في ايام الراكدة .. وفي ايام العاصفة .

انه الشرارة التي لم تنطفئ . ويسعد الشرارة .. يسعدها كثيرا ان تكبر النار المولودة وتطفى على كل شيء . ليس باستطاعة عدسة آلات التصوير التقاط صورة للريح والشرارة . ولماذا ننسى؟ لقد مزق الفلسطيني صورته منذ قرر ان يمزق جسده من اجل ان تخصب الارض والقضية ..

وهذه الحرب عرس فلسطيني ، لانها خطوة كبيرة نحو فلسطين ، لانها تجعل فلسطين أقرب . فلماذا يطرح اصحاب الانافة الفكرية

● نعم .

كيف تركوننا نهب اذن ؟

فتزوج الصهيونية التي كانت مودبلا ادبيا شائعا بين بعض كُتّاب
الغرب .

والبعض الآخر يحب الشفقة . يريدنا ان نكون مادة حزن ملهمة .
انه من هواة جمع بكائيات الشعوب الشرقية . وحين تلجأ هذه
الشعوب الى استخدام العنف لترد على « حضارة العنف » تصبح
خارجة عن معادلة الانسجام البشري !

هؤلاء لن يفهمونا ، لانهم لا يريدون ان يفهمونا .

وها هو العالم يعلن هويته : اصدقاء الحرية اصدقاءنا . واصدقاء
العنصرية اصدقاء اعدائنا . ولعل الصراع العربي - الصهيوني كان
محكا لاختبار المعادن في الغرب . حين يتطوع الكاتب لخدمة الجريمة
الصهيونية يكون قد اعطى ضميره لذنب مدلل ، وخان . خان اشرف
ما يعنيه الانسان ، وخان الكتابة ايضا ..

فلماذا نقلق منهم ، ولماذا نلعنهم طالما انهم خرجوا من عالم
الانسانية ، لانه عالمنا .

المحرر

٢٢ تشرين الاول

ثلاث بطاقات من حيفا

- ١ -

مقهى صغير على الشاطئ :

اخيرا ، اقول لامي : وجدت الفرح .

اعيد اليها مناديلها لانني لن اضيع .. ان اضيع كثيرا في هذه
الايام . فالامهات كثيرات .

تعال يا خريف ! فقد كنت اقول دائما لاصدقائي اني احبك .
وكنت لا اعترف امام حبيبي ولا اطعمها الا في الخريف . كانت كاتبتي
تصفر فيك وتذبل ، لان اوراق الشجر تخفيها عني وعن عيون الحراس
الذين كانوا ياتون من الامواج .

والموج ، الآن ، امامي تصافير . والفروب البرتقالي يقف على
حافة الزبد ويشرب . وانا في المقهى انتقي ذكرياتي كما اشاء . انها
تجلس امامي مثل عنقود العنب . اختارها حبة حبة ، والقي بالفاسد
منها عبر النافذة المفتوحة .

كيف تتسع النافذة الصغيرة لكل هذا الافق الواسع ، ولعيون
الشهداء الكثيرة ؟ ادخل ايها البحر .. ادخل صدري المثقوب بسهم
الفرح القادم من احذية الجنود المفاجئين . ادخل ايها البحر ..
ادخل خيمة البوي الذي يقف الآن على منذنة النخيل ، ويدعو العالم
الى غسل خطايه في جراح الشهداء العرب .

تعالوا ايها الشهداء ، طوبى للتراب الذي تطاونه لانه يصير
بحيرة . ويصير البحر بساطا حين تجيئون . تعالوا واستحموا في
مياه فلسطين التي تتبعكم بجراحها وتقول : اغطيكم . ادخلوا
ايها الشهداء نوافذ هذا الوطن حتى تظل على الجنة . مروا اصابعكم
على اشجاره لتصير الخضرة في لون النار الاسطورية .

واخيرا ، اقول لامي : وجدت الفرح .

هكذا يجب ان ترد على السؤال السابق الذي وجهه العربي
النفطي ، بعدما صار يعرف ان اميركا تنقل دماءنا الى شرايين
اسرائيل ! بينما يعامل اندم كأنه سلعة تجارية محضة .

آن لنا ان ننقل السؤال الى الشارع .. ان نظر حه لاستفتاء
الجماهير العربية الفاضية ، لانها المؤهلة لكيفية التعبير عما تكنه من
كراهية لاميرنا : هي الفادرة على الفعل . هي الفادرة على التظاهر .
هي الفادرة على قلب الحسابات . وهي التي ستثبت للسيد الاميريكي
اننا لسنا ابناء انعم توم الفارق في حب اسياده المتعاقبين على
استعباده . لسنا انعم توم ، فأميركا في قبضة ايدينا وبين اصابعنا :
مصالح وهُستسات ومعاهد .

آن لنا ان ننقل الفضيب من العلب الى الشارع - فماذا
نتنظر؟!

المحرر

٢١ تشرين الاول

عالم لنا

في دخان المعارك العظيمة ، تصير الرؤية اوضح .

وها نحن نرى : ليس العالم معنا ، وليس العالم ضدنا . لان
العالم ليس واحدا . فماذا نعني ، ماذا نعني بهذا المصطلح الغامض
« الرأي العام العالمي » ؟

ان شعوب الاتحاد السوفييتي قد اعطتنا الدليل على ان قضية
الحرية والنهوض الانساني واحدة . كان بوسع هذه الشعوب الاصيلية
ان تعمل ساعات اقل ، وان تتمتع بحياة اكثر ترفا ، ولكنها تقاسمتنا
نتاج عرفها من اجل ان تصير الحرية اكبر .
هذا العالم لنا .

وان الولايات المتحدة الاميريكية تعطي الدليل على ان قضية
العدوان واحدة ، وان قربى الدم بين الغزاة لا تنفصم . كان بوسع
الولايات المتحدة ان تجعل الشعوب اقل عذابا ، ولكنها تفعل كل
شيء ، حتى التصحية بالاميريكيين ، من اجل ان تصير الحرية
اصفر .

هذا العالم ضدنا .

وفي دخان المعارك العظيمة ، نصير الرؤية اوضح .

ها هي فارة باكملها تقريبا تنفض يدها الضخمة من صداقصة
قديمة قامت على سوء فهم . ان افريقيا التي لم تكشف عن كل
خصوبتها وطهارتها حتى الآن تجعل عالمنا اوسع .
وهذا عالم لنا ايضا .

وهؤلاء الكتاب والمثقفون والفنانون في الغرب ليسوا لونا
واحدا . ليسوا كلهم معنا ، وليسوا كلهم ضدنا . لقد اعلن شرفاؤهم
هويتهم الانسانية ولم يكونوا محايدين تجاه معركة الحرية الساطفة
التي نخوضها . واعلن آخرون انتماءهم الى « شرعية » الفزرو
الاسرائيلي ، وكشفوا مخزون العنصرية التي يكنونها ضد الشرق .
بعضهم مرتزق . وبعضهم بلا ضمير . وبعضهم يعاني من فقر قضية

واتابع زيارتي لهذا المقهى الجالس على شاطئه يفصل الخريف
عن سائر الفصول .
وبوسمي الآن .. بوسمي الآن ان اكتب على ورق الشجر المتناثر
لان الريح لن تضيع رسائلي !..

- ٢ -

الزنزانة

يحدث هذا .. يحدث هذا احيانا . يحدث هذا الآن : ان تركب
حصانا في زنزانة وتسافر .
يحدث ان : تسقط جدران الزنزانة ، وتصير آفاقا لا حدود لها :
- ماذا فعلت بالحائط ؟
 أعدته الى الصخور .
- وماذا فعلت بالسقف ؟
 حولته الى سرج .
- وماذا فعلت بالقيد ؟
 حولته الى قلم .
غضب السجان . وضع حدا للمناقشة . قال انه لا يحب الشعر ،
ثم أغلق باب الزنزانة .

عاد اليّ في الصباح .. وصاح :

- من أين هذا الماء ؟

من النيل .

- من أين هذا الشجر ؟

من بسايتين دمشق .

- ومن أين هذه الموسيقى ؟

من قلبي .

غضب الحارس . وضع حدا للمناقشة . قال انه لا يحب الشعر ،
ثم أغلق باب الزنزانة .

وعاد في المساء :

- من أين هذا القمر ؟

من ليالي بغداد .

- ومن أين هذه الكأس ؟

من كروم الجزائر .

- ومن أين هذه الحرية ؟

من القيد الذي وضعته أمس .

صار السجان حزينا . ورجاني أن أمنحه حريته .

- ٣ -

والشارع لي :

وغابات الصنوبر ايضا ، وحببتي لن تحزن .
ليست الحرب نزهة ولا احتفالا . ولكننا كنا نقتل بلا حرب ومن
قلة الحرب .

لم تبتهج أم بولادة طفل ، كما تحتفل الارض الآن بميلاد الامة .
عشرات السنين المكبوتة تستيقظ الآن من الحرمان ..
وهذا موسم الزيتون ، ولا نجعم الا شظايا القذائف وعيون

الشهداء .

هذا مهر الارض التي تزف الى الرجال .

للصخرة شكل الكمشى ومذاق الشدي .

الآن نحصي عدد الطائرات . وغسدا نياس من احصاء عدد
البطولات ، وامواج العصفير .

والآن نحصي عدد الخطوات الباقية . ان فلسطين تشبهت
بأقدام المقاتلين . تعالوا .. تعالوا لان انتظاري طويل ، وما عاد في
جسمي موضع لتلقي مزيد من سياط الشرطة .
الفتاة تنام معي في الليل ، وتحاربي في الصباح لانها تصير
جندية .

والشاعرة الحسنة تبكي على قدمي في الليل ، وتبدل الشرطة
على آثار قدمي في الصباح .

لا تصدقوا اذاعة العدو .. لا تصدقوها ! ان الحراب تدور في
شوارع قلبي وفي أوردتي منذ ربع قرن ، ولكن الشرطة تغطي الدخان
المتصاعد من جلدي .

لا تصدقوا اذاعة العدو .. لا تصدقوها ! فالجنود يحرصون لساني
ولكنهم لا يستطيعون حراسة قلبي . هسل وصلنكم مشاعري ؟ هل
وصلنكم ، أم ضلت الطريق ، واعتقلها حرس الحدود ؟

تعالوا .. تعالوا ! الارض تغلي من الشهوة ، والعاشق يرسف
في الاغلال !

الدستور

٢٢ تشرين الاول

صدر حديثا :

● علم النفس في مائة عام

ج . فلوجل
ترجمة لطفي فطيح

● نقد المعارضة العمالية

لينين
ترجمة يوسف محمود

● تاريخ الحركة الصهيونية

(طبعة ثانية)
آلن تايلر
ترجمة بسام أبو غزاله

● ثورات البروليتاريا في القرن العشرين :

الثورة الالمانية ١٩١٨ - ١٩١٩

العفيف الاخضر

دار الطليعة - بيروت

ص.ب ١٨١٣